سبعةُ حبّ َاتٍ مِنَ الرطبِ الغر

وكأسُ لبنٍ بارد

هكذا كان يسدّ ُ جوعَ ضُحاه

هكذا كان بعدما تلتهمُ عيناهُ كتاباً كاملاً

بعدما يهضمُ جهدُ القراءةِ فطورَه

فطورَهُ المكوّ َنَ مِنْ نصفِ خبزةِ تنورٍ وشيءٍ مِنَ الجبن

مِنَ الجبنِ الأبيضِ المنقوعِ بماءٍ ساخنٍ لأجلِ تقليلِ ملوحتِه

هكذا كان يعكفُ على القراءةِ مِنْ قبلِ طلوعِ الشّ َمسِ إلى الضّ ُحى

كانت قراءتُهُ ناقدةً وليستْ مُجرّدَ قراءة

جئتُهُ ضُحىً فقال لي اقرأ صفحةً تختارُها مِنَ الكتاب

وكان كتاباً أُنهِكَ بالشروحِ وبالحواشي

وكان يُنظَرُ إليهِ بعظيمِ إجلال

قرأتُ الصفحةَ فقال لي ما الذي فهمتَه من كلماتِها

قلتُ إنّ الحروفَ والكلماتِ والجملَ عربيةٌ ولكنّي لم أفهمْ شيئاً

وقلتُ كأنّها كُتِبتْ بلغةٍ أجنبيةٍ لا أعرفُها، لكنّ الكلماتِ عربيّة

تبسّمَ جدّي قائلاً إنّ الغموضَ التعبيريّ كاشفٌ عن خوضِ المصنّفِ في مَطْلَبٍ لا يفهمُه

وأوجزَ لي ما ينبغي أن يُقالَ في المَطْلبِ في سطرٍ ونصف

بأسلوبِهِ الشفهي الواضحِ الموجزِ المشرقِ فهمت

وفهمتُ كيف يكونُ الغموضُ مطيّةَ الحائرين

تارةً يغطون بهِ على عدمِ فهمِ مَطْلَبٍ في منهجٍ ينبغي إتمامُه

وتارةً يكونُ الغرضُ إيهاماً بعمقِ ما يسطرون

ثُمّ يأتي الشّراحُ ليفكّوا العباراتِ الملتويةَ ويسدّوا النقص

ثُمّ ينبهرُ طُلابُهم المبتدئون الذين لا يفرّقون بين العمقِ الذي له ظهورٌ مشرقٌ وبين الغموضِ الضحلِ المفتَعَلِ أو الحائر

كالغموضِ الذي بيّنَ لي جدّي علّتَه

حتى صرتُ أنفرُ مِنْ كلّ غموضٍ لا وهجَ ظهورٍ له

فما لا وهجَ ظهورٍ لهُ هو الغموضُ العقيم الضحل

وما حُلّيَ بوهجِ ظهورٍ هو العمق

هو العمقُ الذي كان الظهورُ أحدَ طبقاتِه

كالوردةِ الصادقةِ بأريجِها الفوّاح

نَعَمْ؛ فحينَ يُقبّلُ أريجُ الوردةِ أنوفَنا

فإنّه يدعونا إلى الانحناءِ إلى الوردة

إلى قولِنا ا، ا، ا ..!

إلى التأمّلِ بجماليّاتِها

ببريقِها، بنعومةِ بتلاتِها، بموضعِ الرحيقِ الذي يصيرُ عسلاً

يصيرُ شفاءً لأسقامِنا ولنوباتِ اكتئابِنا غيرِ المفهومةِ أيضاً

لكنّ مَنْ لا يقوون على إنتاجِ نصوصٍ كالورود

هم وحدهم مَنْ يروجون الغموضَ الضحلَ كقيمةٍ نوعيّةٍ للنص

مَنْ يقترفون لغةً ثلجيّةً لا طعمَ لها لا تقشعرّ لألقِها الجلود

لغةً لا روحَ لا نكهةَ لا صفاءَ لها، لا تهفو إليها الأفئدة

يفعلون ذلك تغطيةً لعجزهم عن إبداعٍ نصوصٍ ورود

عن جعلِ حروفِهم تتسامى بأريجِها إلى أنوفِنا

عن جعلِ كلماتِهم موضعَ تأمّلِ عقولِنا

عن جعلِها تحلّ محلّ مُنظّمِ عزفٍ يوجّهُ دقّاتِ قلوبِنا إلى طريقِ العشق

إلى الاحتفاءِ بالجمالِ الذي يُقلقُ مَنْ لا موهبةَ لهم

مَنْ يدّعون المعرفةَ وهم لا يعرفون

مَنْ يمتطون صهوةَ الشّعرِ ويسقطون.